

بين الدمار والتطرف.. كيف تشكل إبادة غزة تهديدًا وجوديًا لـ"إسرائيل"؟



ترجمات
نون بوست

ترجمة وتحرير: نون بوست

مع تعزيز نتياهو للسلطة بيد الصهاينة المتدينين، يشعر هؤلاء في غزة، والضفة الغربية، ولبنان، وما وراء ذلك، بأنهم ينفذون مخطط الله لشعبه المختار. لكن هذا المسار لن يؤدي إلا إلى الكارثة.

”لأنه كان من قبل الرب أن يشدد قلوبهم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة في معركة... ولكي يتم إبادتهم كما أمر الرب موسى“، لطالما كان بتسلايل سموتريش، وزير المالية الذي يعتبر – وإن لم يكن بشكل رسمي – حاكم الضفة الغربية، يميل إلى الاستشهاد بهذه الآية من سفر يشوع لتوضيح ما يسميه خطته الحاسمة أو خطة إخضاعه لليهودا والسامرة، الاسم الكتابي لذلك الإقليم.

وأوضح سموتريش أنه كما حذر يشوع الكنعانيين مما سيحدث لهم إذا عارضوه، فإنه الآن يحذر الفلسطينيين من تداعيات خطته عليهم. أمامهم ثلاث خيارات: البقاء كـ ”أجانب مقيمين“ بدرجة أدنى وفقاً للشريعة اليهودية القديمة، الهجرة، أو البقاء والمقاومة.

وإذا اختاروا الخيار الثالث، فإن سموتريش يؤكد أن ”قوات الدفاع الإسرائيلية“ ستعرف ما يجب القيام به. وعندما سئل: ”هل يعني ذلك قتل عائلات كاملة، نساء وأطفال؟“ أجاب: ”الحرب هي الحرب“.

وتصاعدت ما يسمى بهجمات ”ثمن البقاء“ التي ينفذها المستوطنون الإسرائيليون ضد المجتمعات الفلسطينية في الضفة الغربية – مثل اقتلاع أشجار الزيتون القديمة، وسرقة المواشي، وتسميم الآبار وما إلى ذلك – بشكل مستمر على مر السنين. ولكن خلال شهرين فقط من تولي هذا الوزير اليميني المتطرف؛ شهدت هذه الهجمات قفزة كبيرة، سواء من حيث النوعية أو الكمية.

في أواخر شباط/ فبراير من العام الماضي، شارك نحو 400 مستوطن، برفقة جنود في دور إشرافي، في اقتحام بلدة حوارة التي يقطنها حوالي 7,000 نسمة. حيث أشعلوا النار في 75 منزلاً، وأحرقوا نحو 100 مركبة، وارتكبوا انتهاكات مروعة أخرى، تضمنت قتل الحيوانات الأليفة أمام الأطفال، مثل القطط والكلاب، وتوقفوا فقط لأداء صلاة المساء اليهودية خلال تنفيذهم لهذه الأفعال.

وعبر أحد المجندين الشبان عن دهشته بعد مشاهدته الحادثة، قائلاً: "كانت ليلة البلور"، في إشارة إلى مذبحه النازيين في تشرين الثاني/ نوفمبر 1938.

وكتب الكاتب الإسرائيلي ناحوم برنيا، في مقال له في يديعوت أحرونوت، أنه تم إعادة إحياء أحداث "ليلة البلور" في حوارة.

ورغم أن سموتريش لم يصدر أوامر مباشرة بتنفيذ هذه الأعمال، إلا أن صعوده المفاجئ إلى منصب رفيع قد شجع أتباعه على القيام بها. وبعد انتهاء الأحداث، أبدى إعجابه بها، مع تحفظ يتعلق بجوانبها الإجرائية فقط، فقال: "نعم، أعتقد أن حوارة يجب أن تُمحى، لكن يجب أن تكون الدولة هي من تقوم بذلك، وليس - حاشا الله - المواطنين العاديون." وأكد أنه سيطلب في الوقت المناسب من "قوات الدفاع الإسرائيلية" قصف المدن الفلسطينية بالدبابات والمروحيات بلا رحمة، مضيفاً أن "صاحب الأرض قد فقد صوابه".

بالنسبة للكثيرين، كانت فوضى حوارة بمثابة إشارة إلى خطة سموتريش المستقبلية. وأشار المؤرخ دانيال بلاتمان إلى أن سموتريش يشبه نفسه بشخصية يشوع، الذي نفذ الإبادة في العصور القديمة، لكنه اقترح شخصية أكثر ملاءمة ومعاصرة، وهي هاينريش هيملر، المهندس الرئيسي لهولوكوست.

التطرف الجنوني

في معظم أنحاء العالم، يُعتبر تشبيهه الإسرائيليين أو اليهود بالنازيين من المحرمات التي تُصنّف على أنها معاداة للسامية في أقصى صورها.

ومع ذلك، ترى عالمة الاجتماع الفرنسية الإسرائيلية، إيفا إيلوز، أن هناك مفارقة لاذعة في قيام مواطني "الدولة اليهودية" باستخدام مقارنات هتلر في حديثهم اليومي، وهو أمر لا يجرأ أي مجتمع آخر على القيام به.

بعبارة أكثر صراحة، يقوم الإسرائيليون بوصف بعضهم البعض بصفات نازية مباشرة، أو ينتقدون سلوكيات يرون أنها تشبه تلك التي كانت سائدة في الحقبة النازية.

لنأخذ إيتمار بن غفير، زعيم حزب "القوة اليهودية" اليميني المتطرف في حكومة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، كمثال على ذلك. بدأ بن غفير مسيرته كأحد العناصر المشاغبة في شوارع القدس، حيث واجه أكثر من 50 تهمة وأدين ثماني مرات بجرائم تتضمن التحريض والعنصرية ودعم منظمة إرهابية.

وبرز أولاً على الساحة الوطنية في عام 2015، عندما انتشر مقطع فيديو له في حفل زفاف لمستوطنين بشكل واسع. في الفيديو، شارك الضيوف الذكور الشباب في طقس طعن صورة للطفل العربي، سعد دوابشة، الذي أُحرق حتى الموت على يد أحد رفاقهم في هجوم حريق - باسم "المسيح" - على منزل في قرية دوما الهادئة في الضفة الغربية.

وأشاد بن غفير بهم بوصفهم "أطفالاً طبيين"، و"ملح الأرض"، و"أفضل الصهاينة".

على الرغم من شهرته المفاجئة والجديدة، إلا أنه ظل في أذهان الجمهور - على الأقل - عالقاً، مثل سموتريش، في هوامش السياسة الإسرائيلية المتطرفة.

حتى نتنياهو، الذي لا يُعتبر ليبرالياً أو يسارياً، استمر في تجنبه كأنما هو طاعون، حتى أنه، في يأسه الشديد لتشكيل حكومة، قرر أن السبيل الوحيد للقيام بذلك هو ليس فقط دعوة الثنائي للانضمام إليها، بل أيضاً الرضوخ لشروطهما المبالغ فيها للقيام بذلك.

وطالب سموتريش بالسيطرة العليا على الضفة الغربية، وهو ما كان سابقاً من صلاحيات الجيش، بينما اشترط بن غفير إنشاء وزارة جديدة تُعرف بوزارة الأمن القومي، تحت رعايته، بالإضافة إلى سيطرته على

الشرطة النظامية، حيث سيقوم بإنشاء حرس وطني تحت قيادته الحصرية. وما إن بدأ في تنفيذ ذلك حتى أطلق بعض المطلعين على تاريخ ألمانيا النازية، الذين يُحتمل أن يكون عددهم أكبر نسبةً إلى عدد السكان في إسرائيل مقارنة بأي مكان آخر عدا ألمانيا نفسها، لقب "شتورمابتيليون" أو "القمصان البنية" على هذه القوات، في إشارة إلى المنظمة شبه العسكرية الواسعة والوحشية التي اعتمد عليها هتلر خلال صعوده إلى السلطة، والتي استبدلت لاحقاً بوحدات "إس إس" أو "شوتزتاغل" الأكثر وحشية خلال حكمه الديكتاتوري.

أما أول تعيين لبن غفير - وهو تعيين رئيس موظفيه - فلم يُخفف من هذه المخاوف. فقد كان حنئيل دورفمان، البالغ من العمر 72 عاماً، أحد "الأطفال الطيبين" وشغل أيضاً دور العريس والشخص المسؤول عن الطعن فيما أُطلق عليه "زفاف الكراهية". وفي واحدة من أولى تصريحاته التي نُقلت بعد توليه المنصب، قال لمنتقديه إن "مشكلته الوحيدة مع النازيين" هي أنه كان "سيكون على الجانب الخاسر منهم".

فعالية "النازيين الجدد" في إسرائيل

وطوال عام 2023، وحتى السابع من تشرين الأول / أكتوبر عندما أوقفت عملية حماس النزاع مؤقتاً في جنوب إسرائيل، كانت البلاد غارقة في اضطرابات متزايدة حول خطة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو للإصلاحات القضائية.

وروى المؤرخ يوفال نوح هراري، خلال مشاركته في مظاهرة مناهضة للإصلاحات، شعوره بالدهشة من أغنية كان يرددتها المتظاهرون المؤيدون للإصلاحات بجانبه. واصفاً اللحن بأنه "جذاب"، وأشار إلى أنه كاد أن يردده حتى اكتشف بعد البحث عنها على يوتيوب، حيث حصدت آلاف المشاهدات، أن كلماتها كانت مثيرة للاشمئزاز:

"من سيحترق الآن؟ حوارة! / البيوت والسيارات! حوارة! / يتم إخلاء النساء وكبار السن؛ الليل كله يحترق! حوارة! / احرقوا شاحناتهم! حوارة! / احرقوا طرقتهم وسياراتهم! حوارة!"

وعلى الرغم من أن الأغنية ليست بهذا القدر من الفظاعة كأغنية "عندما يُلطخ دم اليهود السكين..." التي كانت تغنيها فرق القتل النازية المعروفة بـ "أينزاتسغروبن" أو "فرق الموت"، والتي شبرها أحد المعلقين الإسرائيليين بتلك الأغنية، لكنها تظل متشابهة في الروح إلى حد بعيد.

أما بالنسبة لمؤسسة فاشية أخرى، فهي المسيرة السنوية للعلم، التي تحتفل بالاستيلاء على القدس في حرب 1967 العربية-الإسرائيلية.



نشطاء يمينيون إسرائيليون يحيطون بالصحفي الفلسطيني سيف القواسمي خلال المسيرة السنوية للعلم المعروفة بـ "يوم القدس" في 5 حزيران/يونيو 2024

إنه مهرجان من البهجة الانتصارية والتصعيد العسكري، حيث يشارك شباب البلاد، الذين هم في الغالب من المستوطنين، في عرض يمر عبر قلب المدينة العربي القديم. بينما يدفعون ويذاحمون في أزقتها الضيقة، يهتفون بهتافات مفعمة بالحماس مثل "الموت للعرب" أو "لتشتعل قراهم". يهددون ويسبون ويبصقون كل فلسطيني يصادفونه، وقد يضربون ويركلون أي شخص غير محظوظ أو متهور بما يكفي ليقف في طريقهم؛ وأحياناً يتعرض حتى الصحفيون أو المصورون اليهود لمثل هذا المصير.

وتُعد مسيرة الأعلام احتفالاً بالتفاخر والانتصار، حيث يستعرض شباب البلاد أنفسهم في قلب المدينة العربية تحت هتافات حماسية تدعو إلى "الموت للعرب".

ووصف الصحفي جدهون ليفي هذه المسيرة في صحيفة هآرتس بأنها "فعالية نازية جديدة"، مشيراً إلى "تشابهاً كبيراً مع صور يهود أوروبا الذين تعرضوا للضرب قبيل المحرقة".

إدًا، أين تتجلى "النازية اليهودية" في أقصى تجلياتها من حيث الخطورة؟ يظهر الخطر المباشر والأكبر بشكل واضح ضد الفلسطينيين، لكنه في المدى البعيد يشكل تهديداً وجودياً لدولة إسرائيل ذاتها.

من الناحية الجسدية والتشغيلية، كان هذا الأمر موجوداً بشكل رئيسي في الضفة الغربية؛ حيث كان البروفيسور الراحل يشعياهو ليبوفيتش، الفيلسوف المحبوب، قد حدد هذا الظاهرة لأول مرة ومنحها اسمها بشكل مشهور ونبوي.

أما من الناحية الأخلاقية والعاطفية، فقد استقر هذا الأمر في قلوب وعقول بني غفير وسموتريش والمستوطنين المتدينين، بالإضافة إلى العديد من المتعاونين معهم في الحكومة والجيش والجمهور بشكل عام؛ معظمهم من المتدينين، لكن هناك أيضاً بعض القوميين العلمانيين المتشددون الذين

يتشاركون في طموحاتهم العظيمة ولكن لا يشاركونهم في معتقداتهم الدينية.

وظهرت هذه الظاهرة لأول مرة في أعقاب حرب 1967 بين العرب وإسرائيل، وإليكم السبب؛ حيث كانت الصهيونية، على الأقل من حيث الظاهر، معتقدًا علمانيًا بحتًا، بل حتى معاديًا لرجال الدين، وبالنسبة لمعظم حاخامات الشتات، كانت تمثل انحرافًا أو خطيئة، وحتى "تمردًا ضد الله".

لكن في أرض إسرائيل - فلسطين نفسها، كانت هناك حركة تدعو إلى تفسير ديني كامل للصهيونية، وكانت تكتسب القوة باستمرار، وكانت حركة راديكالية وثورية حقًا، تطمح إلى "الدولة اليهودية" بأمل تتجاوز تلك التي يملكها العلمانيون.

وفي المجال الإقليمي المهم، على سبيل المثال، كانت تطمح إلى تضمين كامل أرض إسرائيل، كما وعد الله بها في عهده مع إبراهيم وذريته؛ وعلى أقل تقدير، فقد حكم الحكماء على مر العصور بأن أرض إسرائيل تشمل يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة، بالإضافة إلى مساحات واسعة من لبنان وسوريا والأردن الحاليين.

رسالة من الله

وفي أعقاب انتصار إسرائيل التاريخي في حرب الأيام الستة عام 1967، يعتبر الصهاينة المتدينون أن هذا النصر يمثل "رسالة من الله" تحثهم على الانطلاق لاحتلال الأراضي المقدسة الجديدة التي استعيدت، حيث كانت ممالك اليهود القديمة قائمة يومًا ما.

وواجهتهم تحديات متعددة في مسيرتهم نحو "الفداء" ومجيء المسيح. ربما كانت المهمة الأكثر صعوبة، بل وحتى الكارثية، هي إعادة بناء الهيكل اليهودي القديم في الموقع الذي تتواجد فيه حاليًا قبة الصخرة والمسجد الأقصى. لكن، في الوقت الحالي، أصبح استيطان الأراضي هو الخيار الأكثر إمكانية وواقعية.

ومع ذلك، كان هذا الطريق نحو الفداء يهدد بأن يصبح طريق إسرائيل نحو الهلاك. وهذا ما أشار إليه موشيه زيمرمان، الباحث في التاريخ الألماني، الذي يشارك حاليًا في مشروع بحثي حول "الأمم التي تصاب بالجنون". وأوضح زيمرمان أن ألمانيا بدأت ذلك في عام 1933 مع صعود هتلر؛ بينما "بدأت" إسرائيل في السير على هذا الدرب بعد حرب 1967، حيث أصبح استيطان الضفة الغربية وغزة هو التجلي الأساسي لذلك.

وبالنسبة للصهاينة الدينيين، كانت انتصار إسرائيل التاريخي في حرب 1967 بمثابة رسالة من الله: انطلقوا، استولوا واستقروا في هذه الأماكن المقدسة التي تم غزوها حديثًا.

فكان هذا مشروعًا "نازيًا يهوديًا" بامتياز، يترأسه نوع جديد تاريخيًا من رجال الدين، الذين اعتنقوا الصهيونية. هؤلاء، الذين تشبعوا بـ "لاهوت العنف والانتقام" الجديد، برروا تقريبًا كل ما قد يسهم في دعم قضيتهم المقدسة.

ومن أبرز هؤلاء كان المعلم الروحي لبن غفير، الحاخام دوف ليور، الذي قال في تصريح شهير أو مشين عن الطبيب الإسرائيلي الأمريكي باروخ جولدشتاين، الذي أطلق النار عام 1994 على 29 مصلاً في المسجد الإبراهيمي في الخليل، إنه "شهيدٌ أشرف من جميع شهداء الهولوكوست".

بالنسبة لزيمرمان، كانت "قصة المستوطنات" هي قصة "رومانسية كتابية" تجرف المجتمع بأسره نحو الهلاك؛ والسبيل "المنطقي" الوحيد لوقف ذلك هو "حل الدولتين" للصراع العربي الإسرائيلي والانسحاب الكامل لإسرائيل من الأراضي المحتلة الذي يستتبع ذلك.

وقال: "البديل كان إما أن نرتكب فعلًا شبيهًا بالنازية ضد الفلسطينيين، أو أن يرتكب الفلسطينيون فعلًا شبيهًا بالنازية ضدنا".

إنها تحذير نبوي بلا شك: فقد حصلوا - والعالم - على كلا الأمرين.



يظهر وزير المالية الإسرائيلي بتسليل سموتريش وهو ينضم إلى نشطاء يمينيين عند باب دمشق في القدس خلال ما يُعرف بمسيرة العلم يوم القدس، التي أقيمت في 5 حزيران / يونيو 2024. كان الهجوم الذي وقع في 7 تشرين الأو/أكتوبر بمثابة 9/11 لإسرائيل، إذ شكل قوة إرهابية مفاجئة، تمتاز بتخطيط رائع أو شبه ذلك في التنفيذ، وقاتلة في النوايا، وكارثية في العواقب، كما كانت طائرات أسامة بن لادن المخطوفة تصطدم ببرجي مركز التجارة العالمي في نيويورك في 11 أيلول/سبتمبر 2001. كان الانتقام بلا شك دافعًا رئيسيًا وراء "الفعل النازي" لحماس. ولكن، تمثل هذه الهجمات أيضاً عرضاً مهيئاً لـ"المقاومة" و"الكفاح المسلح"، الذي تعتبره حماس الطريق الوحيد أو الرئيسي نحو "التحرير"، وهو هدف تحدده رسمياً باستعادة كامل فلسطين، بما في ذلك الجزء الإسرائيلي منها. أما "الفعل النازي" لإسرائيل، فقد كان أيضاً انتقاماً، لكن بحجم ومدة وشدة تجعل من أفعال حماس تبدو شبه مثيرة للشفقة بالمقارنة.

أهداف إسرائيل المتغيرة

في هذا السياق، تتغير الأهداف الرسمية لإسرائيل - التي تتمثل في تدمير "منظمة إرهابية" - بشكل غير رسمي وفعال إلى شيء مختلف تماماً: تحول كبير آخر في خطة الله المتطورة لشعبه المختار. حيث تشمل الأهداف الآن إقامة حكم يهودي كامل على جميع فلسطين من النهر إلى البحر، مع محاولة محو أو تقليل الوجود العربي إلى الحد الأدنى. وفي نهاية المطاف، تهدف إسرائيل إلى تحويل الدولة الحالية، التي تُطلق على نفسها "اليهودية والديمقراطية"، إلى دولة "يهودية وثيوقراطية" تُحكم وفقاً لقوانين الملك داود.

هذا هو كيف يرى الصهاينة المتدينون الحرب المستمرة التي دامت عاماً واحداً - الأطول والأكثر دموية لإسرائيل منذ عام 1948 و"النكبة" الفلسطينية - حيث يعبرون عن فرحتهم بذلك. فإن هؤلاء، كما يعلن حاخاماتهم ومشاهير آخرون، كانوا يعيشون في أوقات "رائعة"، بل "معجزة"، تُعد

دليلاً جديداً - حيث كانت هناك شكوك بشأن ذلك بعد الانسحاب المثير للجدل من غزة عام 2005 - على أن الله لا يزال مصمماً على "فدائهم" ويأمرهم بالعودة إلى هناك.

وبعد ثلاثة أشهر من الحرب، وفي مؤتمر يُسمى بـ "مؤتمر انتصار إسرائيل" الذي حضره وزراء وأعضاء كنيست، تعهد المشاركون - وسط الغناء والرقص - بالقيام بذلك، ويفضلون أن يكون ذلك بالتزامن مع "الهجرة"، سواء كانت "طوعية" أو قسرية، لجميع سكان قطاع غزة الفلسطيني. لكن حتى يتحقق ذلك، كانت الأمور ستستمر بدون هذا الشرط.

وفي الوقت نفسه، كان الجنود المتدينون، الذين يشعرون أن "شيئاً رائعاً" قادم، يقومون بالفعل بإنشاء معابد مؤقتة في "الأجزاء المحررة" من القطاع.



اسرائيليون ليبراليون: الولايات المتحدة تعزز اليمين الاستيطاني، والأمور تخرج عن السيطرة في الضفة الغربية، يتقدم وزير المالية الإسرائيلي، بتسليل سموتريش، في تنفيذ مشاريعه الاستيطانية الطموحة، بالتزامن مع زيادة ملحوظة في عدد المستوطنات الصغيرة مثل "حوارة"، مما أدى إلى تهجير المزيد من الفلسطينيين من أراضيهم وقراهم.

ومع تصاعد التوترات في الحرب ضد لبنان، بدأت الأحاديث تتزايد حول احتلال وتوطين جنوب لبنان، الذي يُعتبر جزءاً من "أرض إسرائيل"، وصولاً إلى نهر الليطاني، الذي يُعتبر "الحدود الطبيعية" بين البلدين.

كانت هذه حقبة مجيدة إذًا لبعض الإسرائيليين، وخاصة لهذه الأقلية اليمينية المتطرفة، التي باتت، بفضل قادة مثل نتنياهو، تدير البلاد بشكل متزايد.

أما بالنسبة للآخرين، من بين الأكثر عقلانية، سواء من العلمانيين أو المتدينين المعتدلين - الذين يتناقص عددهم - فقد بدأت الأمور تبدو وكأنها زمن جنون، تجسيداً لما وصفه أحدهم بأنه "مسيرة الحمق" التي بدأت بعد حرب 1967. وكان لافتاً أن الخطاب السياسي في إسرائيل اليوم قد أصبح يركز على "العقلاني" و"غير العقلاني"، بدلاً من الانقسامات التقليدية مثل "يسار" أو "يمين"، أو "متدين" أو "علماني"، أو "غني" أو "فقير".

لذا، عندما يُطرح السؤال: هل ستثبت هذه الفوضى الإسرائيلية أنها تعادل تلك التي أسقطت ألمانيا النازية، كما يقترح بالنسبة زيمرمان؟ فلا أستبعد أن يجد المؤرخون في المستقبل صعوبة في الاختلاف معه في هذا السياق.

ومن المثير للاهتمام أن المؤرخ المعاصر، يوفال هراري، الذي صُدم من تلك الأغاني الشبيهة بالنازية، أشار إلى تشبيهه تاريخي آخر يبدو لي أكثر ملاءمة، وهو يتعلق باليهود: الفصائل الثورية في العصور القديمة والهلينيين.

في منتصف القرن الأول الميلادي، كانت الفصائل الثورية بمثابة الصهاينة المتدينين في عصرهم؛ حيث كانوا متعصبين من نوع حقيقي من المصابين بالجنون والعنف، ودائمًا في صراع مع الهلينيين، الذين قرر بعض مواطنيهم، المتأثرين بالثقافة الهلينية السائدة في ذلك الوقت، أن هناك ما هو أكثر في الحياة من العبودية القاسية المفرطة في عبادة الإله الأعلى.

لقد كانت هناك انقسامات اجتماعية أساسية - على غرار تلك التي تشكل اليوم في إسرائيل - وساهمت بشكل حاسم في الكارثة النهائية: الغزو الروماني، وتدمير الهيكل، والتشتت النهائي للشعب اليهودي في "منفى" دام لقرون عديدة.

وهراري ليس وحده في تأملاته الكئيبة هذه.

المصدر: ميدل إيست آي